

شرح خطبة الرضا عليه السلام في التوحيد - سيد نعمة اله الجزائري / عبدالحسين طالعی
فصلنامه تخصصی مطالعات قرآن و حدیث سفینه
سال دهم، شماره ۴۰ «ویژه پژوهش های رضوی»، پاییز ۱۳۹۲، ص ۷۵ - ۹۶

شرح خطبة الرضا عليه السلام في التوحيد

سيد نعمة اله الجزائري
تحقيق: عبدالحسين طالعی *

چکیده: این رساله، شرح سيد نعمت اله جزائری (متوفی ۱۱۱۲ ه.ق.) بر خطبه توحیدیه امام رضا عليه السلام است. متن این خطبه را بزرگانی مانند شيخ صدوق، مفید، طوسی، طبرسی، مجلسی و دیگران در آثار خود آورده‌اند. همچنین شماری از بزرگان به شرح آن پرداخته‌اند، به صورت رساله مستقل یا ضمن آثار خود، از جمله: محمد باقر مجلسی، سيد محمد باقر طباطبایی یزدی، علی اکبر نهاوندی. در اینجا شرح سيد نعمت اله جزائری به نقل از کتاب چاپ نشده‌اش *لوامع الانوار فی شرح عیون الاخبار* نقل شده که در شرح *عیون الاخبار الرضا عليه السلام* تألیف شيخ صدوق نوشته است. شرح این خطبه برای نخستین بار به چاپ می‌رسد.

کلیدواژه‌ها: امام رضا عليه السلام - خطبه‌ها / خطبه توحیدیه رضویه / توحید - خطبه‌ها / عیون الاخبار الرضا عليه السلام (کتاب) / *لوامع الانوار فی شرح عیون الاخبار* (کتاب) / جزائری، سيد نعمت اله.

*. عضو هیئت علمی دانشگاه قم و دانشجوی دکتری دانشگاه آزاد اسلامی، واحد علوم و تحقیقات.

Taleie20@gmail.com

۱- خطبه جامع توحیدیه رضویه، یکی از مهمترین نصوص و اسناد شیعی در تبیین توحید است. این خطبه را امام رضا علیه السلام در مجلس مأمون ایراد فرمود، و محدثان بزرگ و شاخص شیعه تمام یا جملاتی از آن را در آثار خود روایت کرده‌اند، از جمله:

- شیخ صدوق (م ۳۸۱) در: *التوحید* (باب ۲، حدیث ۲)؛ *عیون اخبار الرضا* علیه السلام (ج ۱، باب ۱۱، ح ۵۱).

- شیخ مفید (م ۴۱۳) در: *الامالی* (مجلس ۳۰ ح ۴).

- شیخ طوسی (م ۴۶۰) در: *الامالی* (جزء اول، ح ۲۸).

- طبرسی (سده ۶) در: *الاحتجاج* (باب امام رضا علیه السلام).

- سدید الدین حلّی در: *العدد القویة* (ص ۲۹۴ ح ۲۵).

- دیلمی در: *اعلام الدین* (ص ۶۹).

- مجلسی در: *بحار الانوار* (ج ۴، باب جوامع التوحید، ح ۳)؛ *الاربعین* (ح ۱۳).

- حرّ عاملی (م ۱۱۰۴) در: *الفصول المهمة* (ج ۱ ص ۱۵۵ و ۲۰۲ ح ۷۶ و ۱۶۲).

- حویزی در: *نور الثقلین* (ج ۱ ص ۳۹، ج ۲ ص ۶۶ و ۲۹۳).

- بحرانی در: *البرهان* (ج ۴ ص ۲۳۶).

- عطار دی (معاصر) در: *مسند الامام الرضا* علیه السلام (کتاب التوحید، ح ۵۸).

۲- چندین دانشور شیعی به شرح آن همت گماردند، به عنوان کتاب مستقل یا ضمن آثار خود، به عربی یا فارسی، که پاره‌ای از آنها چاپ و نشر شده و بعضی مخطوط باقی مانده است. از آن جمله است:

- شرح محمد باقر مجلسی (م ۱۱۱۰) در: *الاربعین* (ص ۷۶-۹۵)، *بحار الانوار* (ج ۴ ص ۲۳۱-۲۴۷). وی همین توضیحات را با بسط بیشتر و ترجمه عبارات خطبه به صورت

رساله‌ای مستقل به فارسی نگاشته که با تحقیق نگارنده این سطور در دست انتشار است.

- سید محمد باقر طباطبایی یزدی (م ۱۲۹۸) که شرح او "فیروزجات طوسیه در شرح خطبه رضویه" نام دارد. این رساله را دکتر جعفر زلکی به عنوان پایان نامه دوره دکتری تصحیح و تحقیق کرده و آماده نشر است.

- شیخ هادی تهرانی، در خاتمه کتابش "قریة العرائد"

- شیخ محمد حسین خراسانی (م ۱۴۰۶) که کتاب "دائرة المعارف الاسلامیة فی شرح الخطبة الرضویة" را نوشته است (تهران: کتابفروشی مصطفوی، ۱۳۶۲ شمسی).

- سید حسن مصطفوی، که کتاب معرفه الله را نوشته است (مشهد: آستان قدس رضوی، ۱۴۰۴ قمری)

- علی اکبر نهاوندی (م ۱۳۶۶ قمری) - ضمن کتاب انوار الموهب، باب امام رضا علیه السلام، تحت عنوان "تحفة المؤمن السعید و خطبة الرضا علیه السلام فی التوحید". (این کتاب، اخیراً با تحقیق و تصحیح، در قم منتشر شده است)

- لسان الملك سپهر - ضمن ناسخ التواریخ، مجلد امام رضا علیه السلام (چاپ حروفی، اسلامیة)، ج ۱۱ ص ۲۶۸-۳۰۸

۳- شرحی که در این گفتار ارائه می‌شود، شرح محدث بزرگوار سید نعمه اله جزائری (م ۱۱۱۲) عالم بزرگ سده دوازدهم است که بر بیشتر کتابهای حدیثی شرح یا حواشی مفصل نوشته است. شرح حال مبسوط او را در کتاب "نابعه فقه و حدیث" نوشته نواده دانشمند او مرحوم سید محمد جزایری باید یافت. در همان کتاب، کارنامه قلمی پر برگ و بار او ارائه شده است.

محدث جزایری ضمن شرحی که بر کتاب عیون اخبار الرضا علیه السلام (تألیف صدوق) نگاشته و "لوامع الانوار فی شرح عیون الاخبار" نامیده، شرحی مفید بر خطبه رضویه

آورده است. از آنجا که این کتاب تاکنون منتشر نشده، در این فرصت، شرح جزایری بر خطبه توحیدیه رضویه برای نخستین بار منتشر می‌شود.

نسخه مورد استفاده، نسخه‌ای است که در مرکز احیای میراث اسلامی قم نگاهداری می‌شود و عکسی از آن در کتابخانه تخصصی امام رضا (ع) در قم موجود است که با استفاده از آن نسخه عکسی، به انتشار رساله اقدام شد.

متن رساله نیز از عیون اخبار الرضا (ع) (نسخه موجود در نرم افزار جامع الاحادیث) نقل شد. امید است تمام کسانی که به نحوی - مستقیم یا غیر مستقیم - در مقدمات این رساله سهمیم بوده‌اند، مشمول دعای خیر حضرت بقیة الله ارواحنا فداء قرار گیرند و در ثواب نشر این وجیزه سهمیم باشند. آمین

المتن: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْكَاتِبُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ الْقَلْزَمِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي زِيَادٍ الْجَدِّيِّ صَاحِبِ الصَّلَاةِ بِجَدَّةٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنُ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (ع) قَالَ سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا ع يَتَكَلَّمُ بِهَذَا الْكَلَامِ عِنْدَ الْمَأْمُونِ فِي التَّوْحِيدِ قَالَ ابْنُ أَبِي زِيَادٍ وَرَوَاهُ لِي وَآمَلَى أَيْضاً أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَلَوِيُّ مَوْلَى لَهُمْ وَخَالًا لِبَعْضِهِمْ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَيُّوبَ الْعَلَوِيِّ أَنَّ الْمَأْمُونُ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَسْتَعْمَلَ الرِّضَا (ع) جَمَعَ بَنِي هَاشِمٍ فَقَالَ لَهُمْ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْتَعْمَلَ الرِّضَا عَلَى هَذَا الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِي فَحَسَدَهُ بَنُو هَاشِمٍ وَقَالُوا أَتَوَلَّى رَجُلًا جَاهِلًا لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ بِتَدْبِيرِ الْخُلَافَةِ فَابْعَثْ إِلَيْهِ رَجُلًا يَأْتِنَا فَتَرَى مِنْ جَهْلِهِ مَا تَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَيْهِ فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ بَنُو هَاشِمٍ يَا أَبَا الْحَسَنِ اصْعِدِ الْمُنْبَرِ وَانْصِبْ لَنَا عِلْمًا نَعْبُدُ اللَّهَ عَلَيْهِ

الشرح: هذه الخطبة من جملة خطب مولانا امير المؤمنين (ع)، نقلها الرضى طاب ثراه فى كتاب نهج البلاغة، و رواها المفيد و المصنف عطر الله مرقديهما، على ان فصاحة الفاظها و بلاغة معانيها شاهدا عدل على انها من كلامهم (ع) و حينئذ فلا يلتفت الى رجال سندها و ان كان فيهم من لم يعرف حاله بالاصطلاح المعروف بين المتأخرين.

و معنى "انصب لنا علما" اى اذكر لنا من صفات الله جل جلاله ما نعرفه بها حتى يكون علما لعبادتنا اياه.

المتن: فَصَعِدَ (ع) الْمُنْبَرَ فَقَعَدَ مَلِيًّا

الشرح: لعل السبب في ذلك القعود قبل الخطبة اجراء الملك المسمى بروح القدس الفاضل على لسانه ﷺ. و يجوز ان يكون السبب فيه تعليم الخلق التائي في الامور او انتظار اجتماع الناس. المتن: لَا يَتَكَلَّمُ مُطَرِّقًا؛ ثُمَّ انْتَفَضَ انْتِفَاضَةً وَ اسْتَوَى قَائِمًا وَ حَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى وَ اَثْنَى عَلَيْهِ وَ صَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ وَ اَهْلِ بَيْتِهِ، ثُمَّ قَالَ: اَوَّلُ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى مَعْرِفَتُهُ.

الشرح: اى اول الواجبات. و قد ذكر المحققون ان لمعرفة تعالى مراتب:

الاولى و هى ادناها ان يعرف العبد ان للعالم صانعا.

الثانية ان يصدق بوجوده.

الثالثة ان يترقى الى توحيده و تنزيهه عن الشركاء.

الرابعة مرتبة الاخلاص له.

الخامسة نفى الصفات التى تعتبرها الاذهان له عنه و هى غاية العرفان.

و كل مرتبة من المراتب الاربع مبدأ لما بعدها. و الاولتان من المراتب مجبولتان فى الفطرة الانسانية. بل فى الفطرة الحيوانية ايضا. و لذا لم يدع الانبياء ﷺ اليهما مع انهما لو توقفا على الدعوة لزمه الدور، لأن صدقهم مبنى على معرفة ان هاهنا صانع للخلق ارسلهم بل الذى دعى اليها الانبياء ﷺ هى المرتبة الثالثة و ما بعدها و هى الواردة فى كلمة الاخلاص بقوله صلى الله عليه و آله: من قال لا اله الا الله دخل الجنة. ثم لما استعدت اذهانهم لما بعدها من المراتب، قال ﷺ: من قال لا اله الا الله خالصا مخلصا دخل الجنة.

اقول: بهذا التحقيق يندفع التعارض الوارد بين الاخبار. و ذلك أنه ورد فى كثير منها أن المعرفة من صنع الله فى القلوب و ليس لأحد فيها صنع و ان الله لم يكلفهم حتى اثبت فى قلوبهم معرفته و ان اول الواجبات هو الإقرار بالشهادتين. و حملوا على هذا ما ورد من قوله صلى الله عليه و آله: «كل مولود يولد على الفطرة» اى على معرفة الله سبحانه، و كذلك قوله ﷺ: «من عرف نفسه فقد عرف ربه». و روى ايضا فى الاخبار الصحيحة كهذا الخبر و ما بمعناه:

و ان العباد مكلفون بطلبها و عليه جماهير المتكلمين.

و بيان وجه الجمع ان الاخبار الاولى منزلة على المرتبتين الاولتين المركوزتين فى عقول الناس بل و البهايم و غيرها. و ما من شىء الا يسبح بحمده و لكن لا نفقه ما يقولون.

و اما الاخبار الاخيرة فمحمولة على المراتب الثلاث الاخيرة.

و جَوِّزَ بعضُ شَرَّاحِ نهجِ البلاغة ان يراد من المعرفة فى حديث الكتاب و نحوه المعرفة الكاملة لأنَّها العِلَّةُ الغائية و هى متقدِّمة فى التَّصوُّر.

المتن: وَ أَصْلُ مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَوْحِيدُهُ وَ نِظَامُ تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ الشرح: فإن قلت: الكتب الإلهية مشحونة بأوصافه و هو ﷻ قد وصفه،

قلت: يخصّ بنفى المعانى و الصفات الزائدة كما قاله الاشعرى و نفى الاحوال كما قاله المعتزلى، او يخصّ بنفى صفات المخلوقين كما يقول المشبهة على ان كلّما يوصف به تعالى من الصفات فإنما هى اعتبارات تحدّثها عقولنا عند مقايسة ذاته تعالى الى غيرها. و لا يلزم من ذلك تركيب فى ذاته تعالى.

المتن: لِشَهَادَةِ الْعُقُولِ أَنَّ كُلَّ صِفَةٍ وَ مَوْصُوفٍ مَخْلُوقٌ

الشرح: لأنّ الصفة محتاجة الى الموصوف للقيام به و الموصوف محتاج الى الصفة فى كماله. فلا يكون شىء منهما واجبا و كذا المركّب منهما.

المتن: وَ شَهَادَةُ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّ لَهُ خَالِقًا لَيْسَ بِصِفَةٍ وَ لَا مَوْصُوفٍ، وَ شَهَادَةُ كُلِّ صِفَةٍ وَ مَوْصُوفٍ بِالْإِفْتِرَانِ، وَ شَهَادَةُ الْإِفْتِرَانِ بِالْحُدُوثِ، وَ شَهَادَةُ الْحُدُوثِ بِالْإِمْتِنَاعِ مِنَ الْأَزْلِ الْمُتَمَتِّعِ مِنَ الْحُدُوثِ. فَلَيْسَ اللَّهُ مَنْ عُرِفَ بِالتَّشْبِيهِ ذَاتَهُ

الشرح: عرف على البناء للمجهول، اى ليس من عرف بالتشبيه ذاته هو الله. المتن: وَ لَا إِيَّاهُ وَحْدَهُ مَنْ اكْتَنَّهُهُ

الشرح: اى زعم انه بلغ فى المعرفة الى كنه حقيقته، لأنّ الحقيقة مركبة من الجنس و الفصل، فيكون شريكا للممكنات فى التركيب؛ او لان حصول الكنه فى الذهن يستلزم تعدد افراد الواجب، لان ما يحصل فى العقول و الازهان هو الكليات، و الكلى من حيث هو كلى له افراد متعددة، اما فى الذهن او فى الخارج.

المتن: وَ لَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مِنْ مَثَلِهِ

الشرح: اى: اثبت له مثلا. و برهانه ان المثل للشىء هو المشارك له، اما فى ذاته او فى بعض اجزائها او فى ——— خارجة عنها. و هو تعالى لا شريك له فى ذاته، و الّا لاحتاج الى مميّز من خارج لا يكون مقتضى ذاته و الّا لكان مشتركا غير مميز له بل مقتضى علّة اخرى، فيكون واجب الوجود محتاجا فى ما يميّزه عن غيره الى غيره. هذا خلف و لا شريك له فى بعض الاجزاء و الّا لكان مركّبا فكان ممكنا هذا خلف، و لا فى صفة خارجة عن ذاته اذ ثبت انه لا صفة له وراء ذاته.

و قيل: لا يجوز ان يراد بقوله من مثله انه جعل له شخصا و مثالا، او مثله فى ذهنه و جعل الصورة الذهنية مثلا له.

المتن: وَ لَا يَهْ صَدَقَ مَنْ نَهَاهُ

الشرح: انه اثبت له نهاية و غاية ينتهى اليها.

المتن: وَ لَا صَمَدَ صَمَدُهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ

الشرح: الصمد: القصد. و ذلك ان الاشارة اما حسية او عقلية. و الاولى مستلزمة للوضع و الهيئة و الشكل و التحيز. و ذلك على واجب الوجود محال.

و اما الثانية فقال بعض المحققين: ان النفس الانسانية مادامت فى عالم ----- اذا توجهت الى اقتناص امر معقول من عالم الغيب فلا بد ان ----- القوة الخيالية و الوهمية، فاذن يستحيل أن يشير العقل الإنسانى إلى شىء من المعانى الإلهية إلا بمشاركة من الوهم و الخيال و استثباته حداً و كيفية يكون عليها.

لكن قد علمت تنزهه تعالى عن الكيفيات و الصفات و الحدود و الهيئات. فكان المشير اليه المدعى لإصابة حقيقته قاصدا لواجب الوجود.

المتن: وَ لَا إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ وَ لَا لَهُ تَذَلُّلَ مَنْ بَعَّضَهُ

الشرح: «و لا له تذلل» اى: تعبد و اظهر العبودية.

المتن: وَ لَا إِيَّاهُ أَرَادَ مَنْ تَوَهَّمَهُ

الشرح: اى تخيل له فى نفسه و وهمه صورة و شكلا، او المراد انه عبده و عرفه بمجرد التوهم من غير جزم بوجوده.

المتن: كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ

الشرح: شروع فى البرهان على ذلك.

قال الفاضل المعتزلى ابن ابى الحديد: هذا الكلام يجب أن يتأول و يحمل على ان كل معروف بالمشاهدة و الحسن فهو مصنوع. و ذلك لأن البارى سبحانه معروف من طريقين: احدهما من افعاله و الآخر بنفسه، و هى طريقة الحكماء الذين بحثوا فى الوجود من حيث هو وجود. فعلموا انه لا بد من موجود واجب الوجود فلم يستدلوا عليه بأفعاله، بل اخرج لهم البحث فى الوجود انه لا بد من ذات يستحيل عديمها من حيث هى هى.

المتن: وَ كُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ

الشرح: لأنَّ القائم بغيره محتاج إلى الغير، فكان معلولا له و لما يقيمه فيه.
المتن: يَصْنَعُ اللَّهُ يَسْتَدِلُّ عَلَيْهِ وَ بِالْعُقُولِ تَعْتَقِدُ مَعْرِفَتَهُ وَ بِالْفِطْرَةِ تُثَبِّتُ حُجَّتَهُ
الشرح: اى بما فطرهم عليه من توحيده و معرفته ثبتت حجته عليهم
المتن: خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ حِجَابًا بَيْنَهُ وَ بَيْنَهُمْ

الشرح: يعنى انَّ خلقه للعباد الدالَّ على احتياجهم و عجزهم هو الذى حجبهم عن الإطلاع على اسرار ملكوته و سرادق جبروته. و هذا الحجاب يتفاوت رقة و غلظة، فاحد الطرفين، بل ران على قلوبهم و ختم الله على قلوبهم.

و الطرف الآخر: لو كشف الغطاء لما ازدادت يقينا.

و بين الطرفين بُد الخافقين.

و فى كتاب /التوحيد: رفع الحجاب. فيكون خلق على صيغة المصدر. و هو أظهر.

المتن: وَ مَبَايِنَتُهُ إِيَّاهُمْ وَ مَفَارَقَتُهُ أَيْنِيَّتَهُمْ

الشرح: اى: لما باين خلقه فى جميع الصفات، فارق امكنتهم فلا يتصف بما كان مثلهم. لآنه لو كان صاحب اين، لم يكن مباينا لهم.

المتن: وَ اِبْتِدَاؤُهُ إِيَّاهُمْ دَلِيلُهُمْ عَلَى أَنْ لَا اِبْتِدَاءَ لَهُ، لِعَجْزِ كُلِّ مُبْتَدَأٍ عَنْ اِبْتِدَاءِ غَيْرِهِ وَ اِدَاؤُهُ إِيَّاهُمْ دَلِيلٌ عَلَى أَنْ لَا اِدَاءَ فِيهِ

الشرح: اى: جعلهم ذوى ادوات و اعضاء يحتاجون اليها دليل على انه ليس فيه شىء منها و آلا كان محتاجا اليها و هو الغنى المطلق؛

و لآنها مستلزمة للتركيب، أو لآنَّ الأدوات تشهد بفاقة اهلها الى موجد لكون المركب محتاجا.

المتن: لِشَهَادَةِ الْأَدَوَاتِ بِفَاقَةِ الْمَادِينِ [الْمُتَادِينَ] فَاسْمَاؤُهُ تَعْبِيرٌ

الشرح: اى يعبر بها عنه و دعوه خلقه بها آلا آنها عين ذاته كما زعمه الأشعرى.

المتن: وَ أَفْعَالُهُ تَفْهِيمٌ

الشرح: يفهم الخلق ليستدلوا بها عليه.

المتن: وَ دَاتُهُ حَقِيقَةٌ

الشرح: من حق. اذا ثبت اى ثابتة لا تزول. و منه الحقيقة المقابلة للمجاز. و ورد فى اللغة: الحقيق بمعنى المكنون لآنها مكنونة و مصونة عن تلوث الخواطر. و ورد الحقيق بمعنى الكامل لآنها الكاملة على الإطلاق.

المتن: وَ كُنْهَهُ تَفْرِيقُ بَيْنِهِ وَ بَيْنَ خَلْقِهِ
الشرح: لعلّ معناه أنّ حقيقته و عدم الإطلاع عليها للعقول و الأوهام فارق بينه و بين خلقه لأنّ
حقايقهم معلومة بالحدود .

المتن: وَ غَيُورُهُ تَحْدِيدٌ لِمَا سِوَاهُ

الشرح: غيور، مصدر بمعنى: المغايرة؛ أى: كونه مغايرا له، تحديد له. فكلّ من سواه مغاير له بالكنه؛
أو: يكون التحديد بمعنى التعريف، كقوله تعالى: الله «الذى ليس كمثله شىء».

و يجوز أن يكون التحديد بمعنى الحدّ الحاجز بين الشيئين. و حاصله أنّ مغايرته لما سواه هو
الحاجز بينه و بينها. فلا تشاركه بالذات و لا بالصفات و لا بالأفعال.

المتن: فَقَدْ جَهِلَ اللَّهُ مَنْ اسْتَوْصَفَهُ

الشرح: الفاء للتفريع جزاء لشرط محذوف أى: إذا تحققت ما تقدم من عدم الإطلاع على ذاته و
صفاته، فمن أثبت له صفة أو طلب استنباتها و كيفيتها فقد جهله.

المتن: وَ قَدْ تَعَدَّاهُ مَنْ اسْتَمَثَلَهُ

الشرح: أى: طلب له مثلا أو مثالا. و فى //التوحيد و بعض نسخ هذا الكتاب: «من اشتمله»، أى:
أحاط به.

المتن: وَ قَدْ أَخْطَاهُ مَنْ اكْتَنَّهُهُ وَ مَنْ قَالَ كَيْفَ فَقَدْ شَبَّهَهُ

الشرح: لأنّ كيف يسأل بها عن كفيات الأجسام فيقال كيف زيدا صحيح أم سقيم.

المتن: وَ مَنْ قَالَ لِمَ فَقَدْ عَلَّلَهُ

الشرح: و من قال لِمَ فقد علّله. و ذلك لأنّ لِمَ إنّما يطلب بها تحصيل العلل للمعلولات، لِمَ وجد؟ و
لِمَ كان قادرا و عالما؟ كما يقال ذلك فى غيره من الموجودات.

المتن: وَ مَنْ قَالَ مَتَى فَقَدْ وَقَّتَهُ

الشرح: أى متى كان موجودا؟

المتن: وَ مَنْ قَالَ فِيمَ فَقَدْ ضَمَّنَهُ وَ مَنْ قَالَ إِلَى مَ فَقَدْ نَهَاهُ وَ مَنْ قَالَ حَتَّى مَ فَقَدْ غَيَّاهُ وَ مَنْ غَيَّاهُ
فَقَدْ غَايَاهُ

الشرح: و هو يحتمل معانٍ:

الأول: ان من جعل له غاية فقد غاياه، اى اشترك معه فى كون كل منهما له غاية، بناء على أن صيغة المفاعلة يقتضى المشاركة فى أصل الفعل. و إذا شارك أهل الغايات فيها لزم منه ما فرع عليه من المفاسد.

الثانى: ان من قال حتى م؟ فقد تضمّن سؤاله هذا ان له غاية. و من جعل له غاية يكون قد غاياه اى نهاه الى غايته و حصره بها. و يؤيدّه أن فى مجالس المفيد (ره): «و من غيَّاه فقد حوَّاه و من حواه فقد ألحد فيه».

الثالث: معناه أن من قال حتى م؟ فقد جعله مغياً. و من جعله مغياً، يكون قد أثبت له غاية و نهاية. الرابع: ما قال بعض الأعلام من أن من قال حتى م؟ يكون قد جعل لبقائه غاية و نهاية. و من جعل له غاية، فقد غاياه اى حكم باشتراكه معهم فى الماهية.

الخامس: ان من جعل لبقائه غاية، فقد جعل لذاته ايضا غايات و حدودا جسمانية، لأنّه لا مجرد فى الوجود سوى الله كما هو أصح القولين.

السادس: ان معنى قوله غاياه، أثبت له علّة غائية أو فاعلية تسمى به، لأنّ المعلول ينتهى إليها. السابع: ان من غيَّاه و جعل له غاية، فقد غاياه، اى جعل له غاية تميزه عن غيره كالفصل أو الخاصة، لاشتراكه مع غيره فى أصل الغاية. فلا بدّ من المايز، و هو المراد من قوله غاياه. و يحتمل وجوها أخرى أعرضنا عن ذكرها حذرا من التطويل.

المتن: و من غايَّاه فقد جزَّاه و من جزَّاه فقد وصفه و من وصفه فقد ألحد فيه الشرح: اى من وصفه بصفات المخلوقين، فقد ألحد فيه. و أصل الإلحاد الميل و العدول عن الشىء. و هو هنا عبارة عن الميل الى الحق و الصواب. و الإلحاد فى الله يكون فى الذات و الصفات و الأسماء و الآيات.

أمّا الإلحاد فى الذات، فما ذهب إليه الدهرية و المعطلة و من ذكر الصانع، حيث مالوا بالذات المقدسة من الوجود إلى العدم؛ و كالمثنية و المثلثة و من قال بالشريك و الولد و الصاحبة، فإنهم مالوا من الوحدانية إلى إثبات العديل و الشريك؛ و كذلك المجسمة و الغلاة حيث مالوا من البساطة الى التركيب، و يدخل فيه الأشاعرة و المعتزلة القائلين بالصفات و الأحوال.

و أمّا الإلحاد فى الصفات، فكوصفه بمشية القبائح و خلق الفحشاء و المنكر و القول بالرؤية.

و أمّا الإلحاد فى الأسماء المراد من قوله تعالى: «و الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون». فقال فى الكشف: المراد منه ما كانوا يسمّونه فى الجاهلية كقولهم: "يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا سخي"؛ فهو لاء يعدلون من التسمية بالأسماء الحسنى إلى التسمية بهذه الأسماء التى لم يرد بها توقيف من الشارع، مع إيهامها المعنى الباطل.

وقيل: إلحادهم فى أسمائه تسميتهم الأصنام آلهة و اشتقاقهم اللات من الله و العزى من العزيز. و قال فى «سبح اسم ربك الأعلى»: نزّه عمّا لا يصحّ فيه من المعانى التى هى الإلحاد فى أسمائه كالجبر و التشبيه، مثل أنّ تفسير الأعلى بمعنى العلوّ الذى هو القمر و الإقتار، لا بمعنى العلوّ فى المكان و الإستواء على العرش حقيقة.

و أمّا الإلحاد فى الآيات، الوارد فى قوله تعالى: «إنّ الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا». ففسّر تارة بالإلحاد عن الإيمان بها، و أخرى بما كانوا يفعلونه من المكاء و الصفير. قال ابن عباس: المراد من الآيات دلالات التوحيد. و الإلحاد فيها الإلحاد عنها و ترك الإستدلال بها.

و من أعظم و أقبح أنواع الإلحاد فى الآيات، تفسيرها بالرأى و حملها على التأويلات الباطلة مثل تفسير الأشاعرة و تأويلهم قوله تعالى «وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة» بالنظر إليه حقيقة، و كادعائهم نزول كثير من الآيات فى مدح من شهد عليهم النبى صلى الله عليه و آله بالكفر و لعنوا فى القرآن مع الكفرة و المنافقين.

المتن: وَ لَا يَتَغَيَّرُ بِتَغْيِيرِ الْمَخْلُوقِ كَمَا لَا يَتَحَدَّدُ بِتَحْدِيدِ الْمَحْدُودِ
الشرح: لا تغير بتغير المخلوق، بل الذى يقع فيه التغير أنما هو النسب و الإضافات، مثلا زيد الموجود يعلم الله سبحانه وجوده؛ فإذا عدم تغيرت تلك الإضافة من العلم بالوجود الى العلم بعدم.
المتن: أَحَدٌ لَا يَتَأَوَّلُ عَدَدَ

الشرح: يعنى يكون له ثانيا فى الأعداد، بل وحدته حقيقية بسيطة.

المتن: ظَاهِرٌ لَا يَتَأَوَّلُ الْمُبَاشَرَةَ

الشرح: بل هو ظاهر للعقول، أو أن ظهوره، بمعنى غلبة للأشياء بالإقتدار عليها لا بالمباشرة لها.

المتن: مُتَجَلٍّ [مُتَجَلٍّ] لَا بِاسْتِقْلَالِ رُؤْيَا

الشرح: التجلى: الانكشاف. و الاستهلال: الظهور.

المتن: بَاطِنٌ لَا يَمْزَايِلُهُ

الشرح: اى: إخفاؤه و استتاره عن الخلق ليس بالمزايلة اى الانتقال بأن يكون قد انتقل إلى مكان خفى، فحفى عليهم. و ورد الباطن كما تقدم بمعنى العالم بالباطن و الخفيا. و معناه حينئذ انه عالم بالباطن لا بالانتقال اليها ليعلمها بالقرب منها.

المتن: مُبَايِنٌ لَا يَمَسَافَةُ

الشرح: بل مباينته لهم بذاته و صفاته.

المتن: قَرِيبٌ لَا يَمْدَانَةُ

الشرح: بل من حيث العلم و القدرة و الإحاطة.

المتن: لَطِيفٌ لَا يَتَجَسَّمُ

الشرح: اى ليس لطفه بمعنى أنّ له جسما لطيفا رقيقا، بل هو لطيف لعلمه بالشيء اللطيف، أو لخلقه الخلق اللطيف.

المتن: مُوجُودٌ لَا بَعْدَ عَدَمٍ، فَاعِلٌ لَا بِاضْطِرَارٍ

الشرح: يعنى انه فاعل مختار، لا فاعل موجب كما يقول الفلاسفة من أنّه فى فعله الصادر منه كالشمس فى إشراقها و النار فى إحراقها.

و فى نهج البلاغة: «فاعل لا باضطراب آله» اى: تحريكها.

المتن: مُقَدَّرٌ لَا يَجُولُ فِكْرَةً

الشرح: اى: لا يحتاج فى تقديره و خلقه إلى جولان الفكر و أعمال التروى.

المتن: مُدَبِّرٌ لَا بِحَرَكَةٍ، مُرِيدٌ لَا بِبَهْمَامَةٍ

الشرح: اى: عزم و اهتمام.

المتن: شَاءٌ لَا بِبَهْمَةٍ

الشرح: اى: صاحب مشية لا بقصد و عزم حادث.

المتن: مُدْرِكٌ لَا بِمَحَسَّةٍ، سَمِيعٌ لَا بِآلَةٍ، بَصِيرٌ لَا بِأَدَاةٍ. لَا تَصْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ وَ لَا تَضَمُّهُ الْأَمَاكِنُ وَ لَا تَأْخُذُهُ السَّنَاتُ وَ لَا تَحْدُهُ الصِّفَاتُ

الشرح: لعدمها لأنّه لا صفات له زائدة على ذاته حتى يحدّ و يعرف بها. و ما ذكره له من الصفات، فهى اعتبارات عقلية و امور اعتبارية.

المتن: وَ لَا تُقَيِّدُهُ الْأَدَوَاتُ

الشرح: أى: لا ينتفع بها لعدمها بعدم الحاجة إليها.
المتن: سَابِقَ الْأَوْقَاتِ كَوْنُهُ

الشرح: الكون: الوجود. و وجوده سابق على الزمان المحقق و المقدر.
المتن: وَ الْعَدَمُ وَجُودُهُ

الشرح: هذه الفقرة الشريفة يحتمل معاني.

منها ما قاله الفاضل المعزلى ابن ابى الحديد. و هذا لفظه:

فإن قلت ما معناه و هل يسبق وجوده عدم مع كون عدم العالم فى الأزل لا أول له؟
قلت: ليس يعنى بالعدم ههنا عدم العالم بل عدم ذاته سبحانه أى غلب وجود ذاته عدمها و سبقه
فوجب له وجود يستحيل تطرّق عدم إليه أزلا و أبدا بخلاف الممكنات. فإن عدمها سابق بالذات
على وجودها و هذا دقيق. انتهى.

و منها ان يكون المراد عدم الممكنات، لأنّ عدم العالم قبل وجوده كان مستندا الى عدم الداعى
الى ايجاده المستند الى وجوده تعالى فوجوده سبق عدم الممكنات بمرتبتين.
و منها ما قيل انّ المراد اعدام الممكنات المقارن لابتداء وجوداتها، فيكون كناية عن أزليته و عدم
ابتداء وجوده.

و على هذين القولين يكون ردّا على الفلاسفة القائلين بقدم العالم.
و منها أنّ عدم له حظّ من الشيئية، و قد ورد الإطلاق عليه فى القرآن و الحديث. قال الله تعالى:
«يا ايها الذين آمنوا اتقوا ربكم انّ زلزلة الساعة شىء عظيم».

و روى الكشّى بإسناده إلى علىّ بن يونس قال: قلت للرضا عليه السلام: انّ زرارة و هشام بن الحكم
اختلفوا. فقال زرارة: النفى ليس بشىء و ليس بمخلوق. و قال هشام: ان النفى شىء مخلوق. فقال
لى: قل فى هذا بقول هشام و لا تقل بقول زرارة.

فإذا صحّ إطلاق الشىء عليه و كان مخلوقا، كان سبق الوجود عليه ظاهرا و يكون المراد
بمخلوقيته انه مقدّر فى العلم القديم. و قد حققنا هذا المعنى فى شرحنا على كتاب /التوحيد.

و منها ما قاله بعض المحققين من انه تعالى مخالف لسائر الموجودات الممكنة فإنها محدثة
فيكون عدمها سابقا على وجودها بخلاف الموجود الأوّل جلّت عظمتة فإنّه لمّا كان واجب الوجود
لذاته كان هو موجودا فكان لحوق عدم له محالا و كان وجوده سابقا على عدم المعتبر لغيره من
الممكنات.

المتن: وَ الْإِبْتِدَاءَ أَزَلُّهُ

الشرح: ای: سبق وجوده الأزلی کلّ ابتداء فلیس لوجوده ابتداء.

وقیل: المراد انّ ازلیته سبق بالعلیة کل ابتداء.

المتن: بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ

الشرح: المشاعر: الحواسّ الباطنة و هی آلات الإدراک. و منه أخذ الشعور ای العلم و الإدراک. و قد ذکر فی توجیهه وجوه:

الأوّل: ما ذكره المحقق الربانی الشیخ میثم البحرانی حیث قال: لو كان له مشاعر، لكان وجودها إمّا من غیره و هو محال؛ أمّا أولا فلأنّه مُشعر المشاعر، و اما ثانيا فلأنّه یكون محتاجاً فی کماله الی غیره فهو ناقص بذاته و هذا محال.

و إمّا منه، و هو ایضا محال، لأنّها إن كانت من کمال الوهیته کان موجدا لها من حیث هو فاقدر کمالا فكان ناقصا بذاته و هذا محال. و إن لم یکن کما کان إثباتها له نقصا لأنّ الزیادة علی الکمال نقصان، فكان ایجادها لها مستلزما لنقصانه و هو محال.

الثانی: ما ذهب الیه ابن ابی الحدید المعتزلی من أنّ الجسم لا یصحّ منه فعل الأجسام. و هذا هو الدلیل الذی عوّل علیه المتکلمون فی أنّه تعالیٰ لیس بجسم.

الثالث: انه تعالیٰ شأنه لمّا خلق لنا المشاعر و نظرنا إلی احتیاجنا الیها، عرفنا انه لا مشعر له عزوجل.

المتن: وَ بِتَجْهِيرِهِ الْجَوَاهِرَ عُرِفَ أَنْ لَا جَوْهَرَ لَهُ

الشرح: ای بخلقه الجواهر عرف ان لا جوهر له، إمّا لأنّها ممکنة مخلوقة، أو للاحتیاج إلیها فی تحقّق الموجود و قیام الأعراض بها. و یجوز أن یكون قوله بتجهیره الجواهر إشارة إلی جعل الماهیات کما تقدّم الکلام فیه.

المتن: وَ بِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ

الشرح: لأنّه لما کان خالق الأضداد فلو کان له ضدّ لکان خالقا لنفسه و لصدّه. و ذلك محال؛ و لأنّ الضدّ هو الذی لا یعقل ماهیة إلّا بالقیاس الی غیره. فلا بدّ من وجود الغیر حتی یوجد المضاف من حیث هو مضاف فیکون وجود أحد المضافین متعلّقا بوجود الآخر. فلو کان له سبحانه ضدّ لکان متعلّق الوجود بالغیر فلم یکن واجب الوجود لذاته و لأنّ الضدّین هما الامران الثبوتیان اللذان

يتعاقبان على محلّ واحد و يتمتع اجتماعهما فيه. فلو كان بينه و بين غيره مضادة لكان محتاجا الى محلّ يعاقب الضدّ عليه و قد ثبت أنّه تعالى عنى فى كلّ شيء. اقول: و أن اريد بالتضادّ معناه العرفىّ أعنى الأمرين المتساويين فى القوّة المتقاربين فى الصفات، لم يكن له ضدّ ايضا بهذا المعنى و إلّا لزم أن يكون واجبا مثله و دلائل التوحيد نافية له. المتن: وَ بِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأُمُورِ عُرِفَ أَنَّ لَا قَرِينَ لَهُ الشرح: و برهانه:

اما اولا فلأنّه تعالى خالق المقترنان و مبدأ المقارنة بينهما. فلو كان تعالى مقارنا لغيره لكان خالقا لنفسه و لقرينه و ذلك محال.

و اما ثانيا فلأنّ المقارنة من باب المضاف. و يتمتع أن يلحقه على ما تقدّم. و وجه آخر و هو أنّه تعالى قرن بين الجوهر و العرض بمعنى استحالة انفكاك احدهما عن الآخر، و قرن بين كثير من الأعراض كالإضافات و المعلولات و العلل و الأسباب و المسبّبات. فعلمنا بهذا أنّه لا قرين له، و إلّا لاستحلال انفكاكه عنه فكان محتاجا فى تحقيق ذاته اليه.

المتن: ضَادَّ النُّورُ بِالظُّلْمَةِ الشرح: فى كون النور و الظلمة ضدّين خلاف بين العلماء مبنى على كون الظلمة امرا وجوديا أو عدميا؛ و الأقرب أنّه أمر وجودىّ مضادّ للنور.

و قال بعضهم: انها عبارة عن عدم الضوء عما من شأنه ان يضىء. و ليست على هذا القول عدما صرفا. فجاز أن يطلق عليها انها ضد مجازا.

المتن: وَ الْجَلَايَةُ بِالْبُهِمِ الشرح: الوضوح بالخفا أو السواد بالبياض كما قيل.

المتن: وَ الْحَسَوُ بِالْبَلَلِ الشرح: اى: اليبوسة بالرطوبة.

المتن: وَ الصَّرْدُ بِالْحَرُورِ الشرح: الصرد: البارد، معرب سرد. و الحرور: الحارّ.

المتن: مُؤَلَّفُ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا الشرح: اى: فى أمزجة المركّبات من العناصر الأربعة حتى حصل بينها كيفية متوسطة هى المزاج.

المتن: مُفَرَّقُ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا

الشرح: بالموت و الفنا.

المتن: دَالَّةٌ يَتَفَرِّقُهَا عَلَى مُفَرِّقِهَا وَ يَتَأَلِّفُهَا عَلَى مُؤَلِّفِهَا ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

الشرح: لعلّ الآية شاهد على أنّه تعالى لا يتّصف بالمضادّة و المفارقة و نحوهما، لما قاله جماعة من المفسرين فى معنى الآية من أنّه تعالى خلق كلّ جنس من أجناس الموجودات نوعين متقابلين و هما زوجان؛ لأنّ كلّ واحد منهما مزدوج بالآخر، كالذكر بالأنثى و السواد بالبياض و السماء بالارض و النور بالظلمة و نحو ذلك مما لا يحصى.

فخلقهم كذلك ليتذكروا أنّ لهم موجدا ليس على هذه الصفة.

و قيل: إنّ الآية دليل على الصانع. و ذكر طائفة أنّ معنى الزوجين اثنان. و فى كل موجود زوجان، كالمهية و الوجود، و الوجوب و الإمكان، و المادّة و الصورة، و الجنس و الفصل، الى غير ذلك.

و قال جماعة من المحققين: المراد بالشىء الجنس. و أقلّ ما يكون تحت الجنس نوعان. فمن كلّ جنس نوعان كالجوهر، منه: المادّى و المجرد؛ و من المادّى: الجماد و النامى؛ و من النامى: النبات و المذكر؛ و من المدركة الصامت و الناطق.

و هذا كلّ يدلّ على أنّه واحد لا كثرة فيه. فقوله «لعلّكم تذكرون» معناه أنّكم تعرفون من اتّصاف كلّ مخلوق بصفة التركيب و الزوجية أنّ خالقها واحد لا يوصف بصفاتهما.

المتن: فَفَرَّقَ بَيْنَ قَبْلِ وَ بَعْدٍ لِيَعْلَمَ أَنَّ قَبْلَ لَهُ وَ لَا بَعْدَ

الشرح: اى: فرق بالأشياء بين قبل و بعد، حيث خلق بعضها قبل بعض ليعلم أنّه تعالى ليس زمانيا حتى يتّصف بأنّ له قبلا أو بعدا.

و فى بعض النسخ: «ففرّق بها بينها و بين قبل و بعد».

المتن: شَاهِدَةٌ بِغَرَائِزِهَا أَنَّ لَا غَرِيزَةَ لِمُغَرِّزِهَا دَالَّةٌ بِتَفَاوُتِهَا أَنَّ لَا تَفَاوُتَ لِمُفَاوِتِهَا مُخْبِرَةٌ بِتَوْقِيتِهَا أَنَّ لَا وَقْتَ لِمَوْقِيتِهَا حَجَبٌ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ لِيَعْلَمَ أَنَّ لَا حِجَابَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَهَا غَيْرُهَا

الشرح: اى: أنّه تعالى حجب بعضها عن بعض بالحجب الحسية و المعنوية ليعلم أنّ هذا نقص لا يتّصف به الخالق. لكن الحجاب بينه و بين خلقه نقصانهم و كماله. ألا ترى أنّ الحجاب بين الشمس و الخفاش هو قوّة نورها و ضعف بصره؛ فضعف بصره هو الحاجب له عن نور الشمس.

المتن: لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ إِذْ لَا مَرْبُوبَ

الشرح: معنى الربوبية القدرة على التربية و التبليغ الى حدّ الكمال شيئا فشيئا بالأغذية البدنية و الأرزاق الروحانية.

و أمّا التربية بالفعل، فمن توابعها.
المتن: وَ حَقِيقَةُ الْإِلَهِيَّةِ إِذْ لَا مَأْلُوهُ

الشرح: حقيقة الإلهية استحقاق العبادة. و قوله: «إذ لا مألوه» معناه لا لحدّ موجود فى القدم متصف بأنّ له إله، يعنى لا عابد.

المتن: وَ مَعْنَى الْعَالَمِ وَ لَا مَعْلُومَ وَ مَعْنَى الْخَالِقِ وَ لَا مَخْلُوقَ
الشرح: لأنّ معنى الخالق، القادر على الخلق و الأيجاد.

المتن: وَ تَأْوِيلُ السَّمْعِ وَ لَا مَسْمُوعَ

الشرح: لعلّ النكته فى إقحام لفظ التأويل أنّ سمعه تعالى ليس حقيقة بل هو مأول بعلمه بالمسموعات.

المتن: لَيْسَ مَدْ خَلَقَ اسْتَحَقَّ مَعْنَى الْخَالِقِ وَ لَا يَجِدَانِهِ الْبَرَايَا اسْتَفَادَ مَعْنَى الْبَرَايَةِ
الشرح: البرائية بالتشديد بمعنى الخلاقية.

المتن: كَيْفَ وَ لَا تَغْيِيهِ مَدْ

الشرح: أى: كيف لا يستحقّ هذه الأسماء فى الأزل و الحال أنّ "مَدْ" الذى لابتداء الزمان لا تكون غاية لوجوده فهو ليس بزمانى. فالأشياء قبل وجودها و بعد وجودها حاضرة عنده مشاهدة لدى علمه. فقدرته عليها قبل الإيجاد كقدرته عليها بعده.

المتن: وَ لَا تُدْنِيهِ قَدْ

الشرح: لأنها لتقريب الماضى من الحال، و هو سبحانه ليس زمانيا. و قيل: معناه أنّه ليس فى علمه تفاوت حتى تقربه من الظن الى القطع كما يقال قد صار زيد يعلم الفقه.

المتن: وَ لَا يَحْجُبُهُ لَعَلَّ

الشرح: لأنها لترجى الأمور المستقبلية الغائبة فى الحال؛ أو المراد أنّه ليس له شكّ فى امر حتى يقول فيه "لعلّ"، و من ثمّ ورد أنّ عسى و لعلّ فى كلامه تعالى معناهما التحقيق. و أنّما ورد التعبير بهما لئلا يطمع الخلائق فى ما دخلا عليه.

المتن: وَ لَا تُؤَفِّقُهُ مَتَى

الشرح: كأن يقال متى وجد و ما بعده كالتأكيد له.

المتن: وَ لَا يَشْتَمِلُهُ حِينٌ وَ لَا تَقَارِبُهُ مَعَ

الشرح: بأن يقال كان مع شيء في الأزل أو يكون معه في الأبد حتى الزمان لخروجه عنه. قيل: يمكن تطبيق بعض هذه الفقرات على ما قيل انه لخروجه سبحانه عن الزمان كان جميع الزمانيات عنده حاضرة في الأزل كل في وقته. و بذلك وجهوا نفى التخلف مع الحدوث.

المتن: إِنَّمَا تَحْدُ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا

الشرح: الادوات إشارة الى الآلات البدنية و القوى الجسمانية. و ظاهر انه لا يتعلّق ادراكها إلا بما كان جسماً أو جسمانياً على ما علم في موضعه. فمعناه انما تدرك الأجسام و الجسمانيات و مثل الشيء هو هو في النوع او الجنس.

و يحتمل ان يدخل في ذلك العقل و الفكر لا متنازع انفكاكه عن الوهم و الخيال حين يوجّهه الى المعقولات لما بيّناه من حاجته اليها في التصوير و التشبيح. و كان لا يتعلّق إلا بمماثل ممكن و لا يحيط إلا بما هو في صورة جسم أو جسماني.

و كذلك قوله:

المتن: وَ تُشِيرُ الْأَلَّةُ إِلَى نَظَائِرِهَا وَ فِي الْأَشْيَاءِ يُوجَدُ أَفْعَالُهَا مَنَعْتَهَا مُدُّ الْقَدِيمَةِ وَ حَمَتَهَا قَدُّ الْأَزَلِيَّةِ لَوْ لَا الْكَلِمَةُ

الشرح: الضمائر المتصلة بالافعال الثلاثة تعود الى الآلات و الادوات و هي مفعولات اولى و القدمة و الازلية و التكملة مفعولات ثانية. و منذ و قد و لولا محلّها الرفع بالفاعلية و معنى الكلمة الاولى ان اطلاق لفظة منذ على الآلات و الأدوات في مثل قولنا هذه الآلات وجدت منذ كنا يمنع كونها قديمة إذ كان وضعها لا ابتداء الزمان و كانت لإطلاقها عليه متعيّنة الإبتداء و لا شيء من القديم بمتعين الإبتداء

فنتج انه لا شيء من هذه الأدوات بقديم.

و كذلك إطلاق لفظة قد عليها يمنعها من كونها ازلية إذ كانت قد تفيد تقريب الماضي من الحال و إطلاقها عليها كما في قولك قد وجدت هذه الآلة وقت كنا يحكم بقربها من الحال و عدم ازليتها و لا شيء من الأزليّ بقريب من الحال فلا شيء من هذه الآلات بالأزليّ.

و كذلك إطلاق لفظة لولا على هذه الأدوات تجنّبها التكملة إذ كان لولا دالاً على امتناع الشيء لوجود غيره. فإطلاقها عليها في مثل قولك عند نظرك الى بعض الآلات المستحسنة و الخلقة العجيبة و الأذهان المتوقّدة: "ما أحسنها و أكملها لولا أن فيها كذا".

فيدلّ بها على امتناع كمالها لوجود نقصان فيها. فهي مانعة لها عن الكمال المطلق. و انما أشار إلى حدودها و نقصانها ليؤكد كونها غير متعلّقة بتحديد سببانه، إذ كان القديم الكامل أبعد الأشياء عن مناسبة المحدث الناقص.

و قال بعضهم: المراد بالآلات و الأدوات اهلها.

قال بعض شراح نهج البلاغة: و قد روى برفع القدمة و الازلية و التكملة على الفاعلية او الضمائر المتصلة بالإفعال المتصلة بالأفعال مفعولات اولى و منذ و قد و لولا مفعولات ثانية. و يكون المعنى أنّ قدمه تعالى و أزليّته و كماله منعت الأدوات و الآلات من إطلاق منذ و قد و لولا عليه سببانه لدالاتها على الحدوث و الابتداء المنافيين لقدمه و أزليّته و كماله. و الرواية الأولى اولى لوجودها في نسخة الرضى رضى الله عنه بخطه.

المتن: افترقت فدلّت على مفارقة و تباينت فأعربت عن مبانيها لما تجلّى صانعها للعقول الشرح: بها تجلّى صانعها للعقول، أى: بوجود هذه الآلات ظهر وجوده تعالى للعقول إذ كان وجودها مستلزماً لوجود صانعها بالضرورة و احكامها و اتقانها شاهد بعلمه و حكمته شهادة تضطرّ العقول الى الحكم بها. و يتفاوت ذلك الظهور و التجلّى بحسب تفاوت صقال النفوس و جلائها. فمنها من يراه بعد، و منها من يراه مع، و منها من يراه قبل، و منها من يراه لا شىء معه، و اولئك عليهم صلوات من ربهم و رحمة و اولئك هم المهتدون.

المتن: و بها احتجب عن الرؤية الشرح: اى بإيجادها و خلقها بحيث تدرك بحاسة البصر علم أنّه تعالى يمتنع أن يكون مرئياً مثلها. و بيانه أنّ تلك الآلات انما كانت متعلّقة حسّ البصر باعتبار انها ذات وضع و جهة و لون و غيره من الشرائط الرؤية.

و لما كانت هذه الأمور ممتنعة فى حقه تعالى لاجرم امتنع أن يكون محلاً لنظر العيون. و قال بعض الأعلام فى بيان ذلك أنّه لما كان بالمشاعر و الحواسّ التى هى الآلات المشار اليها اكملت عقولنا و بعقولنا استخرجنا الدليل على انه لا تصحّ رؤيته؛ فإذن بخلق هذه الأدوات و الآلات لنا عرفنا أنّه يستحيل أن يعرف بغير العقل.

و يجوز ان يكون الضمير فى بها راجع الى العقول لا الى الأدوات؛ و المعنى أنّه احتجب عن رؤية العين برؤية العقل؛ كما قال مولانا امير المؤمنين عليه السلام فى جواب من قال: أرايت ربك؟ فقال: ما كنت لأعبد ربا لم أره، لم تره العيون بمشاهدة العيان، و لكن رأته القلوب بحقائق الإيمان.

و يجوز أن يكون المعنى أن العقول حكمت بعدم جواز الرؤية.

و يؤيد إرجاع الضمير إلى العقول قوله:

المتن: وَ إِلَيْهَا تَحَاكَمَ الْأَوْهَامُ

الشرح: لأنَّ الْأَوْهَامَ إذا اضطربت ترجع الى العقول. و العقل هو سلطان البدن، و كلَّ الجوارح و الحواسَّ الظاهرة و الباطنة جنود له ترجع إليه فيما اشتبه عليها كما ورد في حديث هشام و مباحثته مع عمرو بن عبيد البصرى.

المتن: وَ فِيهَا أُثْبِتَ غَيْرُهُ

يعنى أن كلِّما يرسم فى العقل و يحيط به و يجده فهو غيره تعالى.

و قيل أن غيرا مصدر بمعنى المغايرة؛ يعنى: بالعقول تثبت مغايرته تعالى للممكنات.

المتن: وَ مِنْهَا أُنْبِطَ [أُنِيطَ] الدَّلِيلُ

الشرح: اى من العقول استنبط الدليل على وجوده و صفاته.

المتن: وَ بِهَا عَرَفَهَا الْإِقْرَارُ وَ بِالْعُقُولِ يُعْتَقَدُ التَّصَدِّيقُ بِاللَّهِ وَ بِالْإِقْرَارِ يَكْمُلُ الْإِيمَانُ بِهِ

الشرح: يجوز أن يكون اكمل من الكمال، فيكون الإقرار جزء الإيمان كما هو أحد المذاهب.

و يجوز أن يكون من الأكملية، فيكون الإيمان هو التصديق، كما ذهب إليه طائفة من علماء الإسلام و يكون الإقرار أكمل منه لا معه.

المتن: وَ لَا دِيَانَةَ إِلَّا بَعْدَ مَعْرِفَةٍ

الشرح: الديانة: التدبُّن بدين الله اى بشرائعه التى أتت بها الأنبياء؛ أو من دان بمعنى أطاع و عبادى: لا عبادة إلَّا بعد المعرفة.

المتن: وَ لَا مَعْرِفَةَ إِلَّا بِالْإِخْلَاصِ

الشرح: و هو تنزيهه تعالى عمَّا لا يليق به من عوارض الجسمانيات.

المتن: وَ لَا إِخْلَاصَ مَعَ التَّشْبِيهِ وَ لَا نَفْيَ مَعَ إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ لِلتَّشْبِيهِ

الشرح: كما فى /التوحيد و كثير من نسخ هذا الكتاب متعلِّق بالنفى اى: لا نفى للتشبيه مع إثبات الصفات الزائدة له تعالى. و فى بعض النسخ: بالتشبيه. و معناه أنَّه لا نفى للغير عن الله تعالى مع القول بالتشبيه.

المتن: فَكُلُّ مَا فِي الْخَلْقِ لَا يُوجَدُ فِي خَالِقِهِ وَ كُلُّ مَا يُمْكِنُ فِيهِ يَمْتَنِعُ فِي صَانِعِهِ، لَا تَجْرِي عَلَيْهَا الْحَرَكَةُ وَ السَّكُونُ، وَ كَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ

الشرح: اى: إنّ الحركة و السكون من آثاره و مخلوقاته فى الأجسام؛ فكيف يكونان من صفاته تعالى؟

المتن: أَوْ يَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ ابْتَدَأَهُ إِذَا لَتَفَاوَتْ ذَاتُهُ

الشرح: اى: تَغَيَّرَتْ يطران الحركة عليها تارة و السكون أخرى، لأنّهما من الحوادث المتغيرة، فيكون تعالى لتعاقبهما محلاً للحوادث و التغيرات، فيكون ممكناً. هذا خلف.
المتن: وَ لَتَجَزَّأَ كُنْهَهُ

الشرح: لأنّهما من عوارض الجسم ، و كلّ جسم مركّب قابل للتجزئة.

المتن: وَ لَأَمْتَنَعَ مِنَ الْأَزَلِ مَعْنَاهُ

الشرح: لأنّهما من خواصّ الأجسام الحادثة، فيكون الموصوف بهما حادثاً.

المتن: وَ لَمَّا كَانَ لِلْبَّارِي مَعْنَى غَيْرَ مَعْنَى الْمَبْرُوءِ وَ لَوْ وَجَدَ لَهُ وَرَاءَهُ إِذَا وَجَدَ لَهُ أَمَامَهُ

الشرح: لأنّهما لو جريا عليه لكان له وراءه يتحرّك عنه فيلزم أن يكون له أمامه يتحرّك إليه، لأنّيهما إضافيان، لا ينفك أحدهما عن الآخر. و هو محال، لأنّ كلّ ذى وجهين فهو منقسم.

المتن: وَ لَوْ التَّمَسَّ لَهُ التَّمَامُ إِذَا لَزِمَهُ النُّقْصَانُ

الشرح: لأنّ جريان الحركة عليه مستلزم لتوجهه بها إلى غاية، إمّا جلب نفع أو دفع مضرة، لأنّه لازم لحركات العقلاء. فهما كمال مطلوب له، و بدونهما هو ناقص.

المتن: كَيْفَ يَسْتَحِقُّ الْأَزَلَ مَنْ لَا يَمْتَنِعُ مِنَ الْحُدُوثِ وَ كَيْفَ يُنْشِئُ الْأَشْيَاءَ مَنْ يَمْتَنِعُ مِنَ الْإِنْشَاءِ وَ إِذَا لَقَامَتْ فِيهِ آيَةُ الْمَصْنُوعِ

الشرح: لأنّه حينئذ يكون قادراً على الحركة و السكون، فقدّرتة عليهما ليست من خلقه، و إلّا لافتقر إيجاده لها إلى قدرة أخرى. و يلزم ----- فهى إذن من غيره، فيكون مفتقراً فى كماله إلى غيره فيكون مصنوعاً.

المتن: وَ لَتَحَوَّلَ دَلِيلًا بَعْدَ مَا كَانَ مَدْلُولًا عَلَيْهِ

الشرح: لأنّه حينئذ يكون مصنوعاً، و كلّ مصنوع يكون دليلاً على صانعه.

المتن: لَيْسَ فِي مَجَالِ الْقَوْلِ حُجَّةٌ وَ لَا فِي الْمَسْأَلَةِ عَنْهُ جَوَابٌ

الشرح: اى: إنّ هذا القول المحال و هو اتّصافه تعالى بلوازم الإمكان من الحركة و غيرها لا حجة فيه و لا دلالة على مصنوعيته تعالى، لأنّ عروضها له محال، و الإستدلال بالمحال محال.

و يجوز أن يكون فى بمعنى على. يعنى: إن هذا القول المحال و هو اتّصافه بما ذكر من الحوادث، ليس عليه دليل و لا حجة لظهور بطلانه بالبديهة. و كذلك السؤال عنه لا يستحقّ الجواب لكونه سؤالاً باطلاً.

المتن: وَ لَا فِي مَعْنَاهُ لِلَّهِ تَعْظِيمٌ

الشرح: اى: ليس فى إثبات معانى تلك الصفات الحادثة تعظيم له تعالى.

المتن: وَ لَا فِي إِبَانَتِهِ عَنِ الْخَلْقِ ضَيْمٌ إِلَّا بِامْتِنَاعِ الْأَزَلِيِّ أَنْ يُثَنَّى وَ لِمَا لَا بَدْءَ لَهُ أَنْ يُبْتَدَأَ

الشرح: ليس فى إبانته تعالى عن الخلق ضيم، اى نقص و عيب ألا بامتناع الإثنية على الأزلى لأنه لو اتّصف بتلك الصفات الزائدة، لكان القديم متعدداً أعنى الذات و الصفات؛ و الآخر ان الله سبحانه الذى لا ابتداء له يلزم ان يكون له ابتداء على تلك التقادير. و هذا ليس بعيب، فىكون من باب و لا عيب فيهم.

المتن: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ. كَذَبَ الْعَادِلُونَ وَ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا وَ خَسِرُوا خُسْرَانًا مُبِينًا وَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ.